التماسك النحوي أشكاله والياته
"دراسة تطبيقية لنماذج من شعر محمد العيد آل خليفة"

أ/ العيد علاوي المركز الجامعي الطارف

ملخص الدراسة:

أمَّ الباحث من خلال هذه الدراسة، إظهار الأدب الجزائري، أو بالأحرى النص الإبداعي الجزائري، وإعادة قراءته وفق المناهج الحديثة، وكذا إبرازه للناشئة الجاهلة أو الزاهدة في تراثها؛ من خلال إظهار علم من أعلام الجزائر، خلّف تراثا أدبيا متينا ضاهى به عمالقة الشعر في المشرق.

وقد خلصت الدراسة إلى أن النصية ماثلة في النماذج الشعرية المطبق عليها، علاوة على هذا انتهت إلى أن النص الشعري لمحمد العيد آل خليفة يتميز ببناء لغوي محكم وطرح فكري عميق من شأنه أن يسهم في إرساء الهوية، وهو أهل كذلك بأن يعتمد في تدريس اللغة العربية، ولعل النتائج المتوصل إليها تؤكد أن من أطلق لقب"شاعر الشباب والحكمة" على محمد آل خليفة لم يخطئ.

مقدمـــة:

لا مناص أن كل أمة تفتخر بأدبها وأعلامها، فلا تاريخ لمن لا أدب ولا أعلام له، فالأدب شعرا كان أو نثرا هو المرآة التي تصور أفراح الأمة وأحزانها وتصف مآثرها، أما الأعلام فهم الذين يخلدون المآثر ويذودون عن الحياض ويحرسون الممتلكات والمقدسات.

وقد أطلقت دعاوى من هنا وهناك، والدعاوى إن لم يقيموا عليها بيّنات أصحابها أدعياء، فهناك من قال بعدم وجود أدب جزائري، وهناك من ذهب إلى أن النص الجزائري لا يرقى إلى الإبداعية والشعرية وهلم جرا.

ومهما يكن فلئن أعجب المبدع الجزائري- في وقت مضى- بأخيه المشرقي فإعجابه كان إعجاب منتج لا إعجاب متفرج؛ فقد أبدع نصوصا أدبية ذات بناء محكم ومضمون عميق تصور الواقع وتخدم الوطن، وما محمد العيد آل خليفة إلا واحد من فرسان القلم الذائدين عن الأرض واللسان والمبادئ والقيم.

أولا: مهـــاد: (من نحو الجملة إلى نحو النص):

لا مناص أن النصوص في القديم لم يختص بدراستها علم مستقل؛ بل كانت تدرس ضمن الدراسات البلاغية والنحوية بحجة أن النص ما هو إلا جملة أو مجموعة من الجمل متتالية وأن الجملة هي المكون الأساس للنص، وبهذا ظل الاهتمام بالجملة ردحا من الزمن باعتبارها أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي أو التحليل اللساني[1] إلى أن ظهرت مؤشرات علم جديد يدرس النص ككيان موحد، وذلك عندما دعا زليغ هاريس Z.Harris إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب المترابط Connected سواء في حالة النطق Speech أو الكتابة Writing كما دعا هاريس في هذا الكتاب إلى تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية وهما:

1- قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

2- الفصل بين اللغة Language والموقف الاجتماعي Social Situation مما يحول دون الفهم الصحيح.[2]

ومن هنا بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلى المشكلتين اللتين أثارهما هاريس وإلى أهمية تجاوز الدراسة اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي مشكلين بذلك اتجاها لسانيا جديدا أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في

التبلور منذ منتصف الستينات تقريبا،[3] هذا الاتجاه أو العلم الذي عرف بمسميات عدة منها:لسانيات النص Text Linguistics واللسانيات النصية Textual Linuistcs ونحو النص Text Grammar وعلم قواعد النص، أو علم النص أو علم اللغة النصي.

ثانيا: التعريف بنحو النص ونحو الجملة:

قبل تعريف نحو النص من الأهمية بمكان التعريف بالجملة والنص وبنحو الجملة من دون إيغال أو توسع حتى يتضح مفهوم نحو النص أكثر.

أ-الجملة والنص:

لا يخفى على ذي بال أن الجملة في النحو العربي القديم تداخلت مع الكلام إلى أن انفصل كل منهما عن الآخر على يد العلامة جمال الدين ابن هشام الأنصاري[4] والمتتبع لتعريفات الجملة التي لا يتسع المقام لذكرها يقف على التباين الواضح بين الاتجاهات التي عرفتها، فمنها من ارتكز على منطلق دلالي محض، وبعضها ارتكز على منطلق شكلي محض، وفريق ثالث مزج بين الدلالة والشكل،[5]ومن هنا ولتحديد مفهوم الجملة يمكن تقسيم الجملة إلى نوعين:[6]

1- الجملة النظام

2- الجملة النصية

فالجملة النظام؛ هي شكل الجملة المجرد الذي يتولد عنه جميع أشكال الجمل وهذا ما اتكأ عليه النحاة التوليديون التحويليون، والمتأمل لهذا التناول يجده يعطي الجملة معنى استقلاليا بعيدا عن السياق، وهذا النوع يدخل تحت نطاق نحو الجملة.

أما الجملة النصية والتي تدخل تحت نطاق نحو النص، وهي جملة تتسم بالتواصل مع جملة أخرى؛ حيث يحتويها نص، أو هي المنجزة فعلا في مقام ولها مدلولها داخل السياق نتيجة ملابسات لا يمكن حصرها يترتب على هذه الملابسات الفهم والإفهام، وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل، فيعطي دلالته من خلال الاتساق والانسجام.

ومن يمعن النظر في تعريف الجملة النصية يجد أنها ائتلاف جملة وتواصلها مع جملة أخرى؛ ليضمهما نص. فما النص يا ترى؟

ب-النص:

لم يكن النص أسعد حظ من الجملة، فهو الآخر تعددت تعريفاته وتنوعت؛ بل وتداخلت إلى حد الغموض أحيانا أو التعقيد أحيانا أخرى، فبعض هذه التعريفات اعتمد على مكونات النص الجملية وتتابعهما، وبعضها أضاف إلى تلك الجمل الترابط، وفريق ثالث اعتمد على التواصل النصي أو السياق، وبعض آخر اعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة وفريق خامس اعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا.[7]

وحتى لا نبقى حبيسي هذا الجدل سنركز هنا على التعاريف التي اعتمدت الترابط أساسا للنص حتىلا نحيد على موضوع هذه الدراسة - التماسك النحوي- فقد ذهب بعض الدارسين أن النص من اللاتينية Textus والتي تعني (النسيج) أو أسياج مضفرة.[8]

وانطلاقا من هذا ذهب كل من برنكر Bynker وإيزنبرج isenberg وشتاينتز steinitz وغيرهم إلى أن النص "تتابع وترابط من الجمل"[9]، وهو في رأي هاليداي Halliday ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال pardigmatic محور المجاورة بحيث يتجلى فيه الترابط على أشده[10]، وإلى مثل هذا ذهب برنكر Bynker فعرفه بقوله "هو تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل، فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة...[11] وعرفه فاينرش بقوله هو "وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام شديد بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل"[12] وحدده أيضا بقوله "هو تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل" [13]، وعرفه بعضهم بأنه نسيج من الكلمات يترابط بعضه

ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك[14]، ومن جملة هذه التعاريف نخلص إلى أن القاسم المشترك بينها هو الربط، فالربط هو السمة الأساسية للنص، وبناء على هذا نخلص إلى أن السمة النصية (جودة السبك) هي تتابع أفقي متماسك لوحدات لغوية مترابطة بشكل متتابع بناء على أسس محددة.[15]

ج- نحو النص:

سبق وأن أشرنا إلى أن هذا العلم أطلقت عليه تسميات عدة منها لسانيات النص وعلم اللغة النصي ...، إلا أن نحو النص أكثر الأسماء اقترابا إلى تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي.[16] وانطلاقا مما تقدم فنحو النص نحو يتخذ النص كله وحدة للتحليل وليست الجملة كما كانت الحال في الأنحاء السابقة عليه والتي عرفت بنحو الجملةsentence grammar [17].

د-الفرق بين نحو الجملة وبين نحو النص:

بعد التعريف بنحو الجملة ونحو النص حري بنا أن نبرز الفرق بينهما؛ إذ من خلال قراءتنا لكتب عديدة وصلنا إلى أبرز نقاط الاختلاف التي تميز بينهما وهي كالآتي: [18]

1- نحو الجملة هو صورة من صور التحليل النحوي يقف على معالجته عند حدود الجملة، ويرى أن الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها دون أن يتجاوزها في حين علم النص أو نحو النص غايته القصوى فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة على سلسلة طويلة أو قصيرة من الجمل تؤلف نصا محددا مؤمنا بضرورة وجود روابط توفر للنص تماسكه الشكلي والمعنوي.

2- كما أن التحليل في نحو الجملة يبعد الجمل ويعزلها عن سياقها اللغوي في النص أو الخطاب، وبعبارة أخرى فنحو الجملة يتصف باستقلال النحو عن المواقف اللغوية، بيد أن علم قواعد النص أو نحو النص ينظر إلى المسألة في إطار شمولي وتصور كلي يراعي السياق الداخلي والخارجي مثلما يراعي المؤلف ودوره والمتلقي ودوره وآليات الفهم والاستيعاب والتذكر والاسترجاع وإعادة البناء والتفسير وبعض تلك الخواص مرتبطة بالأبنية النحوية والدلالات والأسلوب، وبعضها بالفرد من حيث هو منتج للكلام أو الجماعة من حيث هي متلقية لذلك الكلام.

3- نحو الجملة يخضع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة بمعنى أنه يؤمن باستقلالية الجملة، فهو تحليل لا تركيب؛ بينما عد نحو النص نمطا من التحليل يمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجملة بالأخرى في إطار وحدة أكبر قد تكون فقرة أو عددا من الجمل محدودا.

4- من مبادئ نحو الجملة "الاطراد"؛ وهو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى وما خرج عنها عد شاذا، غير أن نحو النص ينأى عن الاطراد؛ لأنه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية وهي تصرفات فردية يلجأ منشئ النص ليدل على لفتات ذهنية أو ليثير بها انتباه المتلقي.

5- من مبادئ نحو الجملة "المعيارية"، فالقاعدة في نحو الجملة هي أساس الصحة أو الخطأ، فالمعيارية إذن سابقة على النص، ولهذا فنحو الجملة لا يؤمن بنص إلا إذا كان موافقا ومتطابقا مع القواعد التي تم استنباطها، أما نحو النص فهو أبعد عن المعيارية؛ لأنه نحو تطبيقي غير نظري فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص وبعد أن يكون حاضرا ومعرضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته، ولهذا ذهب نحاة النص إلى أن المعيار يكون دائما من داخل النص لا من خارجه، وبعبارة أخرى فنحو النص لا يتحرى السلامة النحوية كما هي غاية نحو الجملة، وذلك لأن معيار النص مختلف عن معيار الجملة الواحدة، فالنص معياره التفاعل الداخلي والتماسك والإفصاح عن المحتوى.

وبتعبير آخر إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل أو جملة كبرى، وإنما هو وحدة من نوع مختلف، فهو وحدة دلالية لها معنى في سياق تتحقق وتتجسد هذه الوحدة في شكل جمل.

6- من أساسيات نحو الجملة "الإطلاق" ومعناه إطلاق القاعدة لتصدق على كل ما قيل أو سيقال، فهي الحكم الذي يرد إليه كل كلام في نحو الجملة، أما نحو النص فلا يطبق على كلام قبل صياغته أو أثناءها، ومن هنا يكون الحكم دائما في النص بعد إنتاجه وفي حالة التواصل الفعلي.

7- من مبادئ نحو الجملة "الاقتصار"؛ إذ يبحث كما تقدم في علاقات حدود الجملة الواحدة دون تجاوزها إلا عند إرادة معنى الإضراب أو الاستدراك أو غير ذلك من

الدلالات التي يمكن أن تربط بين جملتين مثل التعليل والشرط أو ما شابه ذلك، في حين نحو النص وكما يتضح من تسميته، فميدانه النص كاملا دون تجزئته. ومن هنا كانت أهم ملامحه دراسة العلاقات بين أجزاء النص كاملا.

هـ- نحو الجملة ونحو النص وعلاقة الارتباط بينهما:

قد يفهم القارئ والمتأمل للفروق التي تم تعدادها سلفا أن نحو النص يغض الطرف عن النحو التقليدي (نحو الجملة لا علاقة له بنحو النص)؛ إلا أنه على الرغم من أن نحو النص لا يعترف باستقلال الجملة داخل النص، إلا أنه لا يفتأ ينتفع بما قيل عنها في النحو التقليدي، وبهذا يتضح أن نحو النص لا يتنكب الطريق التي مهدها وعبدها المتقدمون لكنه ينتفع من علوم أخرى كالبلاغة واللسانيات... [19].

ولعل ما يبرز هذه العلاقة الموجودة بين النص والجملة تعريفنا السابق للنص بأنه وحدة من نوع مختلف، فهو وحدة دلالية لها معنى في سياق، بحيث تتجسد هذه الوحدة وتتحقق في شكل جمل[20]، ومعنى هذا أن نحو الجملة الذي يرمز إليه بالحرفين S-G جزء من نحو النص الذي يرمز له بالحرفين T.G وهذا يعني أيضا أن نحو النص يكتنف نحو الجملة؛ لأن الأخير أشبه بمجموعة من القرائن والمعطيات يستخدمها نحو النص للكشف عن البنية الكلية التي تتعدى الجملة الكبرى التي تتعدى الجملة الواحدة [21]، كما تتجلى هذه العلاقة في اعتراف الكثير من علماء نحو النص الذين وجهوا نقدا لنحو الجملة لعدم كفاية على وصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، ومن أولئك فان دايك الذي بين هذه العلاقة بين النحوين بقوله: "غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها..[22]، وإلى جانب هذا علق الدكتور سعيد بحيري على رؤية فاينرش قائلا:"وهو كما ترى لا يرفض مستوى الجملة؛ بل على العكس من ذلك يؤكد أنه نقطة البداية في التحليل..."[23].

وجملة الأمر يمكن القول:إن نحو النص أصبح ضروريا لتحقيق هدفه[24] ذلك لأن نحو الجملة كما ذهب فان دايك يشكل جزءا غير قليل من نحو النص، وبذلك تكون قواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النص[25].

ثالثا: التماسك النصي، تعريفه، أشكاله، آلياته:

قبل أن نتعرف على المقصود بالتماسك لا بأس أن نشير من باب المنهجية إلى الصفات التي يشترك فيها كل من نحو الجملة ونحو النص؛ لأن هذا يقودنا إلى إدراك ماهية التماسك النصي وإلى التعرف على أشكال (نوعي) التماسك.

ذهب بعض العلماء إلى أن النحوين؛ نحو الجملة ونحو النص يشتركان في معيارين (من المعايير النصية السبعة) ألا وهما: السبك والحبك؛ وهما شكلا (نوعا) التماسك النصي.

1- فالسبك أو الربط أو التضام Cohesion والذي قسمه بعض الدارسين إلى نوعين: سبك معجمي وسبك نحوي(26)، وأطلق عليه بعضهم الترابط الرصفي وهو معيار يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي؛ أي إن هذا الربط يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، والمقصود بظاهر النص تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها آو نراها، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية ولكنها لا تشكل نصا؛ إلا إذا تحقق من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته(27)، وبإيجاز فالسبك أو الترابط الرصفي أقرب إلى ظاهر النص ومرتبط بالدلالة النحوية.

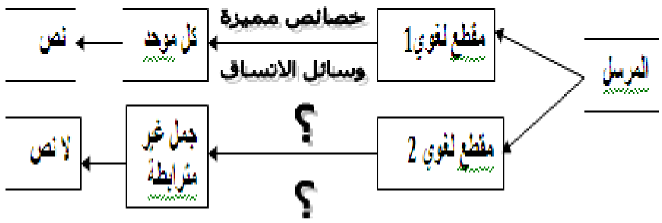
2- أما الحبك أو الانسجام أو الاتساق أو التقارن...الخ Coherence، فيعنى برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي(28)؛ أي إن الترابط المفهومي (الحبك) هو أقرب إلى تلك الروابط التضمنية، ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم مثل فاعل وحدث وحالة وصفة من أجل إيجاد معنى كلي للنص (29)، وسبقت الإشارة إلى أن هناك من يسميه بالتقارن (الاقتران) الذي ينشأ عن طريق الروابط المعنوية التي يستخلصها المتلقي من الخطاب عن طريق التخزين والاسترجاع، وهو الذي يجعل من المعاني الجزئية التي يتضمنها ذلك النص حلقات متداخلة تظهر معا وتساعد القارئ أو المتلقي بصفة عامة على استيعاب المحتوى وإدراك ما فيه من وحدة، ومن أدوات الاقتران السببية causality والزمنية الظرفية condition والخاتمية Finolity والفصل contrast.(30)

ومن هذا المنطلق فالتماسك له شكلان هما:السبك والحبك؛ فالأول يرتبط باللفظ

والحبك كما أن

ص ما، وهذا ما

، لا يكون إلا



ومن هنا يكون الترابط أو التماسك النصي هو وجود علاقة بين أجزاء أو جمل النص أو فقراته؛ لفظية أو معنوية وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص[33]، كما أكد صلاح فضل على أن التماسك هو خاصية نحوية للخطاب تعتمد على علاقة كل جملة منه بالأخرى، وهو ينشأ غالبا عن طريق الأدوات التي تظهر في النص مباشرة كأحرف العطف والوصل والترقيم وأسماء الإشارة وأداة التعريف والاسم الموصول وغيره... [34].

ومن خلال هذين المفهومين ندرك أن التماسك هو التحام ظاهر النص مع باطنه وبعبارة أخرى التحام شكله مع مضمونه، كما أن المفهوم الثاني عَدَّدَ بعض آليات التماسك –والتي سنعرض لها لاحقا –والمتمثلة في العطف، الوصل، أسماء الإشارة أداة التعريف...الخ

وصفوة القول: فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية فإذا كانت الجملة تشير إلى حقيقة بمجموعة من الكلمات فإن توالي الجمل سوف يشير إلى مجموعة من الحقائق وعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقة المعنوية بين مجموع هذه الحقائق هذه العلاقة المعنوية تأتي غالبا عن طريق الأدوات في ظاهر النص.[35]

رابعا: آليات التماسك النحوي(النصي):

من خلال تعريف صلاح فضل للتماسك النصي، ومن خلال جهود العلماء والدارسين قديما وحديثا يمكننا أن نحصر آليات (وسائل) التماسك النصي أو النحوي فـــي مـــا يلـــي:(36)

وفي هذا المقام سنعرف نظريا ببعض هذه الآليات، ونرجئ كل من الإحالة والتكرار؛ لنأخذ منهما مجالا للتطبيق على القصائد؛ لأن المقام لا يتسع لاستوعاب كل هذه الآليات في مجال التطبيق.

أ–الربط بالتعريف: لم يفت علماء الدرس البلاغي العربي ما لأداة التعريف من دور في إحداث الترابط، فقد ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن لام التعريف أداة تتجاوز ما يراه النحاة من أنها تحول النكرة إلى معرفة، فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطا يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث إنها تذكر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق(37)، ومعنى هذا أن أداة التعريف وفق هذه الفكرة تشير إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة؛ بينما تؤدي أداة التنكير وظيفة الإشارة إلى معلومات لاحقة؛ أي إلى وحدات لغوية لم يوضحها المتكلم بعد. ولتوضيح ذلك أكثر رجع بعض الدارسين إلى الأمثلة المشهورة من نصوص الخرافات(38).

*كان في قديم الزمان فتاة ـــــــ إشارة إلى معلومات لاحقة (يتوقع السامع أن يخبر بعد قليل عن هذه الفتاة).

*كانت الفتاة جميلة ومتواضعة ـــــــ إشارة إلى معلومات سابقة (يجب أن يكون الاسم المطابق قد ذكر من قبل في الجملة السابقة).

ب–التقديم والتأخير: عد تغير الرتبة عند عبد القاهر الجرجاني أحد عوامل الربط فإذا قدم الشاعر أو الناثر المتكلم الظرف ثم أخر العامل فيه وهو الفعل، فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ثم يسترجع رابطا بين المعمول وهو الظرف والعامل فيه وهو الفعل.(39)

ج–أحرف العطف: هي الأخرى من أدوات التماسك النحوي؛ بحيث يكون الربط بالواو وغيرها باختلاف المعاني والدلالات والنسق (...)، فأدوات الوصل عند عبد القاهر

الجرجاني هي الروابط التي لا غنى عنها في وصل الجمل بعضها ببعض، وقد فرق بين الواو وهي أشهر أحرف العطف، والفاء توجب فضلا عن الإشراك في الحكم الترتيب، وثم توجب الترتيب مع التراخي و "أو" تفيد التخيير، ولكن وبل وكل منهما يفيد الاستدراك والإضراب...[40].

د–الحذف: عد الحذف هو الآخر طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر قال فيه عبد القاهر الجرجاني " الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة [41]، ولهذا أجازت العربية كغيرها من اللغات حذف أحد العناصر من التركيب عند استخدامها، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره[42]، والحذف باعتباره وسيلة من وسائل التماسك لا يختلف دلالة عن الاستبدال، فهما متشابهان جدا، إلا أن الحذف لا أثر له إلا الدلالة فلا يحل شيء محل المحذوف، أما الاستبدال فيترك أثرا يسترشد به المتلقي.

هــ- الاستبدال: هو صورة من صور التماسك النصي يتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات (...)، وهو عملية تتم داخل النص بتعويض عنصر في النص بعنصر آخر،[43] والفرق بين الاستبدال والإحالة هو أن الإحالة تحيل إلى شيء غير لغوي في أويقات معينة في حين الاستبدال يكون بوضع لفظ مكان آخر لزيادة الصلة بين هذا اللفظ واللفظ الذي يجاوره[44].

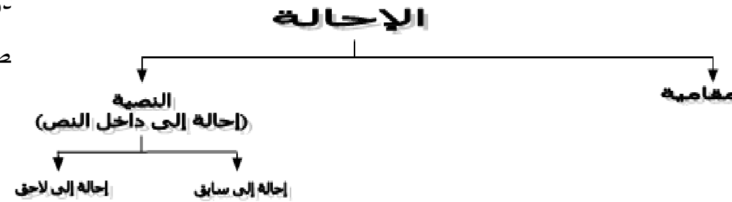
و- التضام: وهو وسيلة من وسائل من وسائل التماسك النصي المعجمي وذلك بأن يتوارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك وقد ذكرت كتب اللغة العلاقات الحاكمة للنظام ومنها نذكر[45]: التضاد، التنافر، علاقة الجزء بالكل...الخ

ز-الربط بالموصول: لا شك أن الاسم الموصول من الأدوات التي تشد أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره والعلم به وما يراد من المتكلم أن يعلم به أو يضمه إلى ما سبق من العلم به.(46)

خامسا: الإحالة: (**دور الضمير في إحداث التماسك النصي في قصيدة أين ليلاي لمحمد العيد أل خليفة**):

تعد الإحالة أحد الآليات التي تحدث التماسك النصي، إذ يحدث التماسك باستخدام الضمائر بدل الأسماء الظاهرة التي يكون ذكرها قد تقدم في بداية النص أو بداية الفقرة وهي إما أن تكون إحالة قبلية أو تبعية (بعدية).(47)

ومعنى هذا أن الضمائر تنوب عن الأسماء فيحل ضمير محل كلمة، فيربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة Endophoric وخارجيا Exophoric وسابقة
oric … ـرك
أن ا … صية
بدو



ومن خلال ما تقدم فالضمير قد يرجع (يعود) إلى شيء مذكور في النص صراحة قد يكون هذا المذكور سابقا أو لاحقا، كما يرجع (يحيل) على شيء غير مذكور في النص وهنا تكون الإحالة خارجية تعتمد على السياق(50)، فالضمير اسم ناقص يفتقر إلى اسم تام يفسره وبهذا يعود على الاسم الذي يطابقه لما له من الخصائص الدلالية وإذا كان الضمير من حيث الصورة الصوتية غير الاسم الظاهر، فإنهما دلاليا عنصر واحد.(51)

ومن هذا المنطلق ذهب بعض الدارسين إلى أن النصوص سلاسل من التحويلات الضمائرية، ومعنى هذا أن الإضمار شرط من الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتماسك النص، فالربط بين الجمل لا يتحقق بوسائل لغوية مختلفة (كالأسماء والأفعال)

التي تقوم بوظيفة (العائد إليه) يحال إليها في الجمل التالية بعلامات لغوية مطابقة لها في الإحالة مثل الضمائر، فهذا الاستبدال (الإضمار) يكفل اتساق سياق النص[52].

ويجب أن لا يفهم أن الضمائر هنا تقتصر على ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فحسب؛ بل تتعداه إلى ضمائر الإشارة وأسماء الموصول، فأسماء الإشارة والموصولات تقوم بوظيفة الضمائر من حيث الإشارة المرجعية والربط، فالإشارة قد تكون إلى سابق أو لاحق أو خارج النص.

وإليك الجدول الذي يوجز هذه الأداة التماسكية – الضمير في قصيدة:أين ليلاي؟.

أ–الضمير في قصيدة أين ليلاي:

أداة التماسك	المثال	العنصر المفترض المحال إليه	نوع الإحالة
الهاء و(هي)	أينها (هي) بينها دينها نارها حينها سرها زينها ببينها بينها حكينها مينها فدينها علقنها بكينها	ليلى (ليلاي) التي ترمز إلى الحرية	قبلية + داخلية + بعضها قريب وبعضها بعيد

	نفينها حوينها أينها قضت (هي) أصلت (هي) أذاقت (هي) روعت (هي) في تصل (هي)		
الهاء (هو)	أصلت القلب نارها وأذاقته (هو)	القلب	قبلية+داخلية+قريبة
الياء (أنا) المتكلم وتاء الفاعل	ليلاي (أنا) مكررة 4 مرات بيتي (أنا) تعرفت (أنا) تعشقت (أنا) روعتني (أنا) تعلقت (أنا) تعللت (أنا) تبينت (أنا) تساءلت (أنا) سالكا (أنا) يحبني (أنا) عيني (أنا)	الشاعر	

اللواتي	بالطيوف اللواتي	الطيوف	قبلية + داخلية + قرينة
من الموصولة	هل قضت دين من قضى؟	لم يذكر قاضي الدين	خارجية

جدول يوضح الضمير وما يحيل عليه في قصيدة أين ليلاي

من خلال الجدول نخلص إلى أن الضمير علامة على الاسم المتروك إظهاره بيانا واختصارا ويلزمه أن يكون مطابقا للاسم المعود إليه (53).

فالضمير(ها) عاد على (هي) المضمرة التي تعود على ليلى كما يتجلى أن الضمير باعتبار أصلي الإفادة والخفة أقوى من الاسم الظاهر(54)، يضاف إلى هذا أن الضمير المتصل إضافة إلى التماسك الذي يحدثه يحصل به رفع الالتباس والاختصار.

والظاهر كذلك من خلال الجدول أن الضمير المتصل أكثر وأسير في الاستعمال من المنفصل.

سادسا: التكرار: (دور التكرار في إحداث التماسك النصي في قصيدة الشعر والأدب):

التكرار ظاهرة من ظواهر اللغة العربية ويتحقق على مستويات متعددة كتكرار الحروف والكلمات والجمل والفقرات(55)، وهو ضرب من ضروب الإحالة إلى سابق Anaphaka بمعنى أن الثاني اللفظ المكرر منهما يحيل إلى الأول ومن ثم يحدث السبك بينهما وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار(56)، وهذه الحقيقة إذا ما استعرضنا المعنى اللغوي للتكرار وجدناها ماثلة فيه، فقد ذكر ابن منظور معاني مادة كرر فالكر يعني الرجوع...وتكرار:عطف ...وكرر الشيء وكركره أعاده مرة بعد أخرى وكررت عليه الحديث ...رددته عليه...والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار والكرة البعث وتجديد الخلق بعد الفناء(57).

فمن خلال هذا نلحظ أن من معاني التكرار:الرجوع والعطف والبعث، وكل هذه المعاني تدل على التماسك والترابط، ومن هنا فالتكرار هو إعادة لفظ أو عبارة أو جملة

أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين العناصر المتباعدة [58].

والمتأمل لقصيدة الشعر والأدب يجد أن التكرار ماثل فيها، فعبارة الشعر والأدب "تكررت فيها أربع عشرة مرة متفقة بالإضافة إلى استعمالها مرتين مختلفتين، وذلك في قولـــه:

(ترجو بقائي بلا شعر ولا أدب) فقد كرر الشاعر هذين اللفظتين تأكيدا وتقريرا لأهميتهما عنده، فهما:الحرفة والشغل، والغذاء، والسيف، والعدة (الزاد) والدليل، والملك والعز والمال، والجمال، ونشوة الخلد، والحياة، ونعمة العيش والغرام والروح.

فبالتكرار أعاد الشاعر اللفظتين وبعثهما في كل بيت حتى لا تنسى بحيث كل بيت يحيل إلى الذي قبله ويتعلق به، وبهذا التكرار وغيره من الوسائل الأخرى تتحقق التماسك بين أبيات القصيدة.

علاوة على هذا كرر الشاعر لفظة "**إلا**" ثماني مرات (08) وهو تكرار في ثنايا الجمل مستثنيا حينا نحو قوله: ولا غذاء به أحيا بغير طوى منعم البال إلا الشعر والأدب

وحاصرا بها حينا آخر بالتركيبين الآتيين:

لا + إلا = حصر

ما + إلا = حصر

ومن الأبيات التي جاءت على هذه الشاكلة:

- لا شغل عندي إلا الشعر والأدب
- ما الملك والعز إلا الشعر والأدب
- ما المال ويحك إلا الشعر والأدب
- ما نشوة الخلد إلا الشعر والأدب
- وما حياتي إلا الشعر والأدب
- ما نعمة العيش إلا الشعر والأدب
- وما أنا إلا الشعر والأدب

ومن مزية هذا الاستثناء والحصر المكرر أنهما ظلا يعودان بنا ويربطانا بالمغرم أو بالأحرى بالروح وهما الشعر والأدب، والمنعم للنظر يجد أن تكرار الروح– الشعر والأدب–، وتكرار أداة الحصر كانت لهما نسبة ورود جعلتهما يتميزان عن التكرارات الأخرى، وبهذا يكون قد تحقق الشرط الذي اشترطه الدكتور صلاح فضل في التكرار وهو أن يكون لهذا الملمح– التكرار– نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره وأن يساعدنا رصده –التكرار– على فك شفرات النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته(59).

أما عن التكرارات القليلة الورود نذكر تكرار جملة "وقل لمن هام" إذ تكررت بنسبة (03) مرات وذلك في قول الشاعر:

– وقل لمن هام في حب مال له لبد

– وقل لمن هام في حب الجمال

– وقل لمن هام في رشف المدام هوى

فهذه الجمل تربط وتبعث لنا صفات غيــر محمــودة أو محدودة الأجل أو بالأحرى زائلــة

فالمال ← زائل

والجمال ← زائل

ورشف المدام ← قبيح ونشوته زائلة

كما يمكن إدراج تكرار هذه الجمل ضمن التكرار الذي يكون في أول الجمل وهو تكرار مباشر وهناك من أطلق عليها اسم الجمل المتوازية والتي نمثل لها من خلال القصيدة بقول الشاعر:

– وما نشوة الخلد إلا الشعر والأدب.

– ما نعمة العيش إلا الشعر والأدب.

فالبيتان وردا على الهيئة التالية:

أداة النفي + اسم +مضاف إليه + أداة الاستثناء +المستثنى = الحصر

مما سبق يتضح أن نحو النص يهتم بدراسة الروابط والأدوات التي تحدث التماسك النصي للنص، وقد رأينا ما للنموذجين " الضمائر والتكرار" المقتصر عليهما في التطبيق من اثر في ربط أجزاء النص، والضمير بالرغم من كونه لا يطابق الاسم المتروك أو المحال إليه من حيث الناحية الصوتية، إلا أنه يطابقه دلاليا بالإضافة إلى هذا، فالضمير من حيث الخفة والاختصار هو أخف وأخصر من الاسم المعود عليه، كما أن الضمير المتصل هو أسير وأكثر استعمالا من الضمير المنفصل، وهذا ما أفصحت عنه القصيدة.
أما التكرار والذي من معانيه الرجوع والعطف والبعث، وكلها معان تشي بالتماسك والترابط، وعده بعض الدارسين – التكرار– ملمحا أو ظاهرة أسلوبية إذا كانت له نسبة ورود عالية، وهذا ما كشفنا عنه في هذه القصيدة، وقد يكون تكرار حرف أو كلمة أو جملة أو عبارة أو فقرة، وقد يأتي في أول الكلام أو في ثنايا الكلام أو في آخر الجملة، كما نستشف من تكرار الضمير الهاء العائد على ليلى في قصيدة أين ليلاي؟ والتكرار عبارة الشعر والأدب في قصيدة الشعر والأدب التناسق والتناغم والجرس الموسيقي الإيقاعي الذي خلفه هذا التكرار والذي يشد المتلقي من أول وهلة ويسمره ويسطر على شعوره ويحمله على مواصلة قراءة النص.

خاتمـــة:

صفوة القول: فللقارئ أن يعود إلى تراث الشاعر ليقف بنفسه على الطرح العميق الذي تميز به الرجل، وعلى الرسالة العظيمة التي حملها على عاتقه، كما له أن يلتمس الرصانة والمتانة اللغوية التي انفرد بها أدب محمد العيد آل خليفة، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يحظ بالاهتمام اللائق في حياته ولا بعد مماته، فديوانه لم يطبع إلا بعد معاناة، وظلت البرامج الدراسية والتعليمية حبيسة أحمد شوقي وحافظٌ إبراهيم ومفدى زكريا، ليفوت الشّابَ –تلميذا كان أو طالبا– خير كثير من التراث الزاهر الزاخر لهذا الشاعر.

بيبليوغرافيا:

1- بحوث ألسنية عربية، ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.

2- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت.

3- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دراسة تطبيقية على السور المكية.

4- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.

5- لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991.

6- مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة وتعليق وتمهيد سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004.

7- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبح.

8- مكتبة المعاجم واللغة العربية، مؤسسة العريس، قرص مضغوط .CDROM

9- نحو النص، إتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1،2001.

10- الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراغي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001.

الهوامـــش:

1بحوث ألسنية عربية، ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ص.11

2 ينظر البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. دراسات أدبية. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، د.ت، ص:65.

3 المرجع نفسه، ص66.

4 ينظر مغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبح، ج2، .374

5نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1،2001، ص.18

6 المرجع نفسه، ص.19

7 المرجع نفسه، ص:.21

8 ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة وتعليق وتمهيد سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004، ص:13-14.

9 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص:.22

10 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص:.217

11 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص:.27

12 المرجع نفسه، ص:24

13 المرجع نفسه، ص:.27

14 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص:.217

15 ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر ،ص:.21

16 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي،ص:.31

17 ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص:.66

18 هذه الفروق مستنبطة من قراءتنا لمجموعة من الكتب للتوسع والاستزادة ينظر: نحو النص أحمد عفيفي، من ص:65-74. في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل من ص: 214-217. بين البلاغة واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد،ص:.66

19 ينظر: في اللسانيات ونحو النص: إبراهيم خليل،ص.217

20 ينظر: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد،ص.66

21في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل،ص:216.

22 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي،ص:.68

23 المرجع نفسه,ص:68

24 ينظر: المرجع نفسه، ص: .67

25 المرجع نفسه، ص:71

26 ينظر: مرجع سابق، جميل عبد المجيد، ص:.77

27 ينظر: مرجع سابق، أحمد عفيفي، ص:.90

28 المرجع نفسه، ص:.103

29 المرجع نفسه، ص:.103

30 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل،ص:.219

31المرجع السابق، أحمد عفيفي،ص:90-.91

32 ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، محمد خطابي، ط1، 1991، ص:.12

33مرجع سابق، أحمد عفيفي،ص:.98

34مرجع سابق، إبراهيم خليل، ص.219

35 ينظر: نحو النص، أحمد عفيف، ص:98-.99

36 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل،ص:222 وما بعدها. المرجع السابق، أحمد عفيفي،ص:93 وما بعدها.

37 ينظر: المرجع نفسه، ص:.229

38 ينظر: مرجع سابق، فوفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ص:.24

39 ينظر: مرجع سابق، إبراهيم خليل، ص:.229

40 المرجع نفسه، ص: .224

41 المرجع نفسه، ص:.233

42ينظر: مرجع السابق، أحمد عفيفي،ص:124 – .125

43ينظر: المرجع نفسه، ص:122.

44مرجع سابق، إبراهيم خليل، ص:.194

45مرجع سابق، أحمد عفيفي،ص: 112-.113

46المرجع السابق، إبراهيم خليل، ص:.230

47 ينظر: المرجع نفسه، ص:.192

48 ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص:.137

49 ينظر لسانيات النص، محمد خطابي، ص:.17

50 ينظر، علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص:.141

51 ينظر: الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراغي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ج1، ص:.233

52 ينظر: ، مرجع سابق، فولفجانج هاينه من ص:.23

53 ينظر: الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراغي، ج1، ص:233.

54 ينظر: المرجع السابق، محمد الأوراغي،ص:.233

55 ينظر: مرجع سابق، صبحي إبراهيم الفقي، ص:17.

56 ينظر: مرجع سابق، جميل عبد المجيد، ص:.79

57 ينظر: مكتبة المعاجم واللغة العربية، مؤسسة العريس، قرص مضغوط CDROM.

58 ينظر: مرجع سابق، صبحي إبراهيم الفقي، ج2، ص:.20

59 ينظر: مرجع سابق، صبحي إبراهيم الفقي، ج2، ص:22.